**المحاضرة الثامنة: الفينومينولوجيا أو الظاهراتية عند هوسرل**

**تعني الفينومينولوجيا في أصلها اللاتيني (علم الظواهر)، ويقصد بها الاكتفاء بدراسة الظواهر المتبدّية في الشعور دراسة وصفية، مع تحليل الشعور وكشف حقيقة الإدراك ومكوّناته.**

**لقد أشار كانط إلى التفريق بين ظاهر الأشياء وبواطنها، وتحدث هيجل بعده عما سمّاه (علم ظواهر الروح)، وتداول الفلاسفة والمفكرون مصطلح الظاهر والظواهر بمعان شتى، إلى أن جاء هوسرل في أوائل القرن العشرين وجعل الظاهراتية اسما لفلسفة متكاملة وضع مبادئها وحدد أسسها. فاقترنت الفينومينولوجيا باسمه وشاع استخدامها وامتد تأثيرها في الفلسفات المعاصرة.**

**عاش هوسرل في ألمانيا بين (1859 – 1938) وهو من أسرة يهودية متوسطة الحال، وقد أغرم بالعلوم الرياضية، ولكنه حين التحق بجامعة "لا يبتزيج" وسع دائرة اهتمامه لتشمل الفلك والفلسفة وعلم النفس، ثم انتقل بعد ذلك إلى برلين ليتخصص في دراسة الرياضيات بجامعة "فريديريش فلهلم"، وهنا ظهرت لديه فكرة تحويل الفلسفة إلى علم رياضي من حيث الدقة واليقين. وفي جامعة فيينا استكمل أطروحته حول فلسفة الرياضيات سنة 1883. ثم عاد ليوسع دراسته للفلسفة والمنطق وعلم النفس. وقد درّس هذه العلوم إضافة إلى الرياضيات بجامعات ألمانية عديدة. ثم استقال منها بعد تصاعد النزعة النازية ليتفرغ للكتابة والتأليف.**

**ويربط الدارسون بين الفلسفة الفينومينولوجية وتطور المنهج العلمي في القرن العشرين بشقيه التحليلي الرياضي والتجريبي الوصفي؛ حيث أراد هوسرل –وبتأثير من تطور المنهج العلمي- أن ينقل الفلسفة من مجرد مذاهب نظرية متناقضة إلى علم يقيني دقيق يوصل إلى حقائق ثابتة تكون أساسا لكل العلوم الأخرى.وجاء بمنهج يجمع بين التحليل الرياضي والوصف العلمي.**

**وكان لهذا المنهج الفينومينولوجي الذي جاء به هوسرل تأثير قوي على الفلسفة المعاصرة، ومناهج العلوم الإنسانية، ومن أشهر الفلاسفة الذين تأثروا بالمنهج الفينومينولوجي الفيلسوف ماكس شيلر في دراسته للظاهرة الأخلاقية. ولكن أكبر تأثير للمنهج الفينومينولوجي تمثل في الفلسفة الوجودية التي جاء بها هايديجر وسارتر.**

**الفينومينولوجيا عند هوسرل:**

**ساد في أواخر القرن التاسع عشر تياران فلسفيان، تيار مثالي ميتافيزيقي يمثله أتباع "كانط"، وتيار مادي واقعي علمي يمثله أتباع "دارون" و"هيجل"، ثم ظهر تيار ثالث حاول الدمج بينهما كان هوسرل من معتنقيه، وكان الموضوع الأساسي الذي حاولوا بحثه هو العلاقة بين فعل الإدراك والموضوعات المدركة، وكيف يلتقيان، فكانت دراستهم تجمع بين علم النفس التجريبي الواقعي والمنطق الصوري المثالي، ولذلك أطلق على هذا التيار الثالث الذي حاول التوفيق بين المثالية والمادية الواقعية اسم**

 **كان هوسرل من أنصار "علم النفس الميتافيزيقي" في البداية، فقد ذهب إلى وجود فعل نفسي يقوم تجريبيا بتوحيد العناصر الفردية، سماه "فعل الارتباط الجمعي"، وهو الذي يجعل تلك العناصر الفردية تأخذ صورة عقلية واحدة ومجرّدة، وكانت هذه الفكرة بداية تفكير هوسرل في تحويل الفلسفة إلى علم رياضي دقيق ذي عناصر تجريبية.**

**لكن هوسرل -وبعد توسعه في دراسة المنطق- ثار على الاتجاه النفسي التجريبي، ورأى أن التحليل الرياضي والأسس النفسية المرتبطة به إنما يرتدان إلى المنطق، وأما المنهج التجريبي المادي فهو جزئي متغير، لا يصلح لإقامة علم يقيني جديد تتأسس عليه العلوم والمعارف البشرية، وهكذا كانت الفينومينولوجيا عند هوسرل نتاج محاولات منه لتطوير علمين اثنين والمزاوجة بينهما هما علم النفس التجريبي والمنطق الصوري القديم.**

**يقرر هوسرل أن القصد جزء من الشعور، أما الشعور الخالي من المضمون فلا وجود له، وعلى ذلك فإن الفينومينولوجيا عند هوسرل تقوم على علم النفس القصدي، وهي عنده ( علم كلي شامل، ومنهج فلسفي وصفي جديد)، هدفها إدراك الماهيات في الشعور، ووضع الأسس العامة لكل المعارف والعلوم، وقد رفض هوسرل أن ينحاز إلى الطبيعي الواقعي، أو إلى المذهب الذاتي المثالي، وأراد من الفينومينولوجيا التي قدمها أن تحتوي كلا المذهبين، وأن توفق بينهما في ميدان واحد هو الشعور، لأن غرضها هو وصف عملية الإدراك وتحليل الشعور لاكتشاف الماهيات الكامنة فيه، هذه الماهيات التي تقوم عليها كل معارفنا وعلومنا.**

**يرتد العالم الخارجي في صورته الطبيعية إلى الذات أو الأنا التي تمثل الشعور، ولكن الذات أو الشعور تنتقل من الأحداث الجزئية والمادية للأشياء، لتستخلص منها ماهيتها الكلية، وتعلق الحكم على الأشياء المادية الخارجية لحين فحص ماهيتها وتحديد معانيها، وبعد هذا يقوم الأنا بوصف المدركات كما هي قائمة في الشعور، وتحليل الشعور ومدركاته، ومن هنا يكون الشعور متجها صوب العالم الخارجي باستمرار لإدراكه، فبدون إدراك الأشياء الخارجية لا يمكن أن يكون شعور أصلا. لأن الشعور إنما هو شعور بشيء، وفي مقابل ذلك لا يكون للأشياء الخارجية معنى إذا لم تدرك بالشعور وتستخلص ماهيتها وتضفى عليها المعاني المختلفة من جانب الأنا، ويطلق هوسرل على اتجاه الشعور الدائم لإدراك الأشياء وقابلية الأشياء للإدراك اسم (الإحالة المتبادلة).**

**وبعد عملية الإدراك العام المجرّد للعالم الخارجي يمكن العودة بعد ذلك إليه المعاني لتضفى عليه المعاني الحقيقية المستخلصة من الماهيات المجرّدة، حيث يصبح العالم ممكن الإدراك ومفهوم المعنى، فالماهيات المجرّدة هي سبيل إدراكنا الحقيقي للعالم، وهي جوهر العلم الكلي اليقيني، وأساس كل علومنا ومعارفنا، بحسب هوسرل.**